باربا بوش !!

لا مجاملة في ما يتعلق بمصير امة. ولا منطق في خلط الاوراق بما يضمن بلبلة اللعبة واشاعة الغموض من حولها. والمقصود بهذا الكلام هو شحنة الغضب المهددة بالانفجار في اعالي الخليج العربي، والتي تتفاعل تياراتها العميقة العنيفة تحت جلد الانسان والارض على امتداد الوطن العربي.

فالاكتفاء باطلاق التنديد والشجب والاستنكار في وجه ما يسمى عملية "درع الصحراء" الامريكية والتطييب لخطوة صدام حسين "الوحدوية" هو من قبيل مجاملة الرأي العام العربي السائد. وكما قلت، فلا مجاملة في ما يتعلق بمصير امة.

ويطالبنا الوضوح بمراجعة لعبة الامم المستمرة على ارضنا منذ عشايا الحرب العالمية الاولى، والتي وضعت لها قواعدها الخاصة خطيا، وبالرسم البياني، منذ السادس والعشرين من ايار ١٩١٦.

ففي ذلك التاريخ وقع المستر مارك سايكس البريطاني والمسيو جورج بيكو الفرنسي الاتفاق الذي اشتهر فيما بعد بأسميهما والذي ينص على تمزيق البلاد العربية بعد اسقاط الامبراطورية العثمانية، والحؤول دون قيام دولة عربية موحدة قوية بمحاذاة اوروبا ذات الشهية الحيوانية المتفتحة قبالة عالم لها معه شؤون قديمة لا تريد

نسيانها او تجاوزها.

فالى جانب الدافع الاقتصادي الذي هو الجوهر والاساس في حروب التاريخ قاطبة، نعثر دائما على دوافع ومبررات وذرائع ثانوية الا انها مكملة ومنسجمة الاثر مع الهدف المركزي.

وعلى سبيل المثال فان الهدف الاقتصادي يبدو واضحا في حكاية ضابط المخابرات البريطاني المعروف بلورنس العرب مع صديقته اليهودية البريطانية التي كانت تراسله وتلح في سؤاله عن الآثار الأرخيولوجية اليهودية في ديار العرب، وظل لورنس يجاملها في اجاباته الى ان كتب لها ذات يوم: الحقيقة انه يهمني ابحار سفن صاحب الجلالة بالنفط المكتشف في الارض العربية أكثر مما تهمني آثار اليهود في هذه الارض!

ومع ذلك فقد لاحظنا لاحقا كيف ان حكومة "صاحب الجلالة" البريطاني استغلت حكاية الاثار اليهودية هذه ايما استغلال، "لإقامة دولة يهودية موالية لبريطانيا في جوار مصر وقناة السويس" (مذكرة مربرت صموئيل الى الحكومة البريطانية عند نشوب الحرب العالمية الاولى).

كان الغزو الاوروبي الى بلادنا تحت شعار "الصليب" لجاذبيته الشديدة الفعالية في اوساط الجماهير الاوروبية ولقدرته من ثم، على تجنيد هذه الجماهير وتحويلها الى مجرد قطعان بشرية في خدمة المشاريع الاقتصادية الرسمية. حتى ان هتلر نفسه لم يربأ عن التستر بالصليب والنظريات العرقية في محاولة يائسة لإكراه العالم على تزويده بالمجال الحيوي "ليبن ستراوم"، اي الاسواق الجديدة لبضائعه.

وبعيدا، اقصى البعد عن المسيحية والمسيح، فما زال اقتصاديو الغرب وارباب صناعته من تجار البندقية وجنوه عشية الحملات الصليبية حتى جنرال موتورز وكوكا كولا اليوم يتذرعون بالحجج الدينية لتمرير مخططاتهم الاستعمارية من خطبة البابا اوربان الثاني تمهيدا للحملة الصليبية الاولى حتى خطبة الرئيس الامريكي جورج بوش الزعلان على صدام حسين لأنه لا يتصرف بما يرضي الاسلام والتقاليد. ويتساءل المرء: ما علاقة الاسلام والتقاليد العربية بالموضوع؟ ولماذا يتحدث جورج بوش بهذه اللهجة، علما بانه ما من زعيم عربي او مسلم قارب المسائل الدينية في الازمة الجديدة، ولا اقول الاخيرة؟

ان جورج بوش يسير على خطا سلفه المشكوك جدا في صلاحه، فقبله هتف الجنرال البريطاني اللنبي حين دنست قطعانه القدس سنة ١٩١٨: "الآن انتهت الحروب الصليبية" وقبل بوش وبعد اللنبي، هتف الجنرال الفرنسي الوبش غورو، امام ضريح صلاح الدين في دمشق: "ها قد عدنا يا صلاح الدين !".

وازاء هذه الذرائع السافلة فقد وقفت الامة العربية محصنة بتسامحها الديني وقام العرب المسيحيون في بيروت وفي حيفا بتأمين الامدادات الى قوات صلاح الدين معرضين انفسهم للموت على ايدي الدجالين وقطاع الطرق الوافدين بقطعانهم من الغرب.

وبقدر ما تفهم الانسان العربي "البسيط" حقيقة المواجهة بينه وبين قوى الاستعمار الاجنبية فقد ظلت هذه الحقيقة غير واضحة على المستوى الرسمي. ولانسلاخ هذا المستوى الرسمي عن الحس الجماهيري فقد تورط وورط الجماهير في معارك غير متكافئة وغير مدروسة بعمق.

والذي حدث في العام ١٩٦٧ كان ورطة غير مدروسة واستدراجا دفعت الجماهير وما زالت تدفع ثمنه الفادح. يذهب القادة تذهب الانظمة وتبقى تبعات التاريخ على الجماهير.

والذي يحدث اليوم في الخليج هو ايضا ورطة غير مدروسة وهو استدراج اذا كلف ثمنا، فستكون جماهير هذه الامة هي من يدفع الثمن كاملا وغير منقوص.

نحن ندرك ان الدويلات العربية القائمة الآن، بما فيها دويلات الأعراب في الخليج وشبه جزيرة العرب هي مصنوعات اجنبية، وندرك ان الوحدة العربية حق وواجب وهدف وليست مجرد حلم. لكن ينبغي علينا ان ندرك ايضا ان الموقف الغربي لم يتغير ولم يتحور بل اصبح اكثر ضراوة بما يتناسب طردا مع امكانيات العرب البشرية والاقتصادية والتكنولوجية المتعاظمة.

وما دمنا ملتزمين مبدأ الوحدة ليس بأعتبارها كلام جرائد او مادة تجميلية لخطب الملوك والرؤساء والأمراء (غير المعنيين بها اصلا!) فاننا مطالبون بالتنبه الى اخطار التحرك الانفعالي ومطالبون بوضع منهاج استراتيجي لتحقيق الوحدة.

لقد جربنا مشاريع الوحدة الاجرائية الفوقية وتجرعنا مرارة نتائجها وجربنا النهج البسماركي وتجرعنا مرارة نتائجه وآن لنا ان نفهم بأن الوحدة غير قابلة للتحقيق في هذه المرحلة التاريخية، عبر قرارات عليا تتخذها مؤسسات القمة، ولا هي قابلة للتحقيق بالعمليات العسكرية ما دام اعداء العرب واصدقاء العرب (مع وقف التنفيذ) هم المزود الرئيسي للعرب بعناصر القوة العسكرية وادواتها.

وحين نلاحظ ان الوحدة لم تتحقق بين قطرين يحكمهما حزب

واحد (سورية والعراق)، فانه يصبح من حقنا ان نتساءل عن امكانية تحقيق الوحدة عبر انظمة متفاوتة ومتناقضة ومتنافرة الى اقصى حد.

لقد قلت في مناسبات سابقة، وهأنذا اكرر الان، ان الجماهير العربية اقرب بكثير الى الوحدة من قيادتها، واكثر من ذلك فان هذه القيادات تشكل جزءا هاما من العقبات التي تعترض طريق الحلم الوحدوي نحو التجسد.

ماذا يحدث الأن؟؟

فرح حقيقي، غمر العرب في كل مكان، بانتهاء الحرب العراقية الايرانية، وبانجازات العراق التكنولوجية، وبطموح العراق الى ان يصبح قوة اقليمية ذات وزن في مجريات احداث المنطقة لكن هذا الفرح ظل عرضه للكمد وللقلق عبر الانباء عن محدودية الفعالية الجماهيرية في صنع القرار لا في تنفيذه فحسب. ليس العراق مطالبا بالصمود الابدي في وجه الحملة العالمية الدموية التي يتعرض لها لكنه مطالب بالانتباه الكامل الى لعبة الدول القذرة وهو مطالب بحماية ذاته من مؤامرة هي فوق طاقته، وفوق طاقة العرب بأنظمتهم الراهنة.

واذا كانت هناك قيمة تذكر بعد للامنيات فاننا نتمنى للعراق ان يتجاوز هذه الازمة الخطيرة، ونتمنى للوحدة العربية ان تنتج فكرها الاستراتيجي العلمي الثوري، بعيدا عن الارتجال، وفي منجى من المطبات الارضية التي يقيم اعداء هذه الامة معاهدهم ومؤسساتهم، لابتكارها ولتطويرها ولتجديدها، منذ ريكاردوس البريطاني وباربا روسا الالماني حتى جورج بوش الامريكي.

اخيرا، اقترح استبدال اسم الغزو الامريكي من "عملية درع

المصحراء".. الى عملية "باربابوش"، لشدة اوجه الشبه هنا بين باربا‌روسا وبوش!!

ملاحظة: وصلت جيوش باربا‌روسا الى بلادنا، اما هو فقد غرق في طريقه الينا!!

«عبير» ايلول ١٩٩٠